وهكذا درج العمل بالمامور والعمل بالنهى ودرك تركهما ودرج القول بالامر والنهى ودرك
تركهما عقدا وحلا كلا وبعضا وهكذا مناسبات الجزاء كلها لا تختل قال تعالى ومكروا و
مكر الله وقال انما نحن مستهزؤن الله يستهزى بهم وقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون و
قال تعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون وقال في الجزاء فاليوم الذين امنوا من
الكفار يضحكون وبين فقال هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فعم بالالف واللام ورد الفعل
عليهم وقال تعالى نسوا الله فنسيهم ولهذا سمى جزاء وفاقا ولو لم يكن الامر كذلك لما كان كذلك
وقد ورد فى المتكبرين انهم يحشرون كامثال الذر يطؤهم الناس باقدامهم صغارا لهم وذلة لتعززهم
على الله وتكبرهم على اوامر الله فالجنة خير لا شر فيها والنار شر لا خير فيها فجميع علم المشرك و
عمله وقوله الذى لو كان موحدا جوزى عليه فى الجنة بحسبه يعطى ذلك الجزاء للموحد الجاهل
بذلك العلم المفرط فى ذلك العمل التارك لذلك القول والجزاء عليه الذى لو كان مشركا لحصل
له فى النار يعطى لذلك المشرك الذى لا حظ له فى الجنة فاذا راى المشرك ما كان يستحقه
لو كان سعيدا يقول يا رب هذا لى فاين جزاء عملى الذى هذا جزاؤه فان الاعمال بمكارم
الاخلاق والتحريض عليها الذى هو القول يقتضى جزاء حسنا وقع ممن وقع فيقول الله لما

عملت

٩

عملت كذا ويذكر له ما عمل من مكارم الاخلاق والقول بها والعلم بمواقعها قد جازيتك على ذلك
بما انعمت به عليك من كذا وكذا فيقرره عليه جميع ما انعمه عليه جزاء لا نعمة المنة فى خلقه المبتدأة
التى ليست بجزاء فيرى ما المشرك هنالك بما قد كشف الله له من علم الموازنة فيقول صدقت فيقول
الله له فما نقصت لك من جزائك شيئا والشرك قطعك عن دخول دار الكرامة فتنزل فيها على موازنة
هذه الاعمال ولكن انزل من النار على دركات من نزل على درجات تلك الاعمال فان صاحبها منعه
التوحيد ان يكون من اهل هذه الدار فهذا هو من الميراث الذى بين اهل الجنة واهل النار و
قد ذكرنا الكلام فى هذا الفصل فى باب الجنة والنار من هذا الكتاب فهذا هو الانتقال الذى بين
اهل السعادة واهل الشقاء فان المؤمن هنا فى عبادة والعبادة تعطيه الخشوع والذلة و
الكافر فى عزه وفرحه فاذا كان فى هذا اليوم يخلع عز الكافر وسروره على المؤمن ويخلع ذل
المؤمن وخشوعه الذى كان لباسه فى عبادته فى الدنيا على الكافر يوم القيمة قال تعالى خاشعين من
الذل ينظرون من طرف خفى فان هذا النظر هو حال الذليل الذى لا يقدر يرفع راسه وذلك الخشوع من
الكافر يوم القيمة والذلة والنظر المنكسر الذى لا يرفع به راسه انما هو لله تعالى خوفا منه وهذا كان
حال المؤمن فى الدنيا خوفا من الله فذلك يوم التغابن حيث يرى الانسان صفة عزه وسروره وفرحه
على غيره ويرى ذل غيره وهمه وحزنه على نفسه فالحكم لله العلى الكبير ويتضمن هذا المنزل من العلوم
علم سؤال الحق عباده السعداء عن مراتب الاشقياء باى اسم يسال ويتضمن علم المناسبات و
يتضمن علم ما تعطيه الافكار ويتضمن علم الكيفيات وهى على ضربين ضرب منه لا يعرف الا
بالذوق وضرب منه يدرك بالفكر وهو من باب التوسع فى الخطاب لا من باب التحقيق فان التحقيق بعلم
الكيفيات انما هو ذوق ولقد نبهنى لولدنا العزيز اسمعيل بن سودكين النورى على امر كان عندى
محققا من غير الوجه الذى نبهنا عليه هذا الولد ذكرناه فى باب الحروف من هذا الكتاب وهو التجلى فى
الفعل هل يصح ام لا يصح فوقتا كنت انفيه بوجه ووقتا كنت اثبته بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف
اذ كان التكليف بالعمل لا يمكن من حكيم عليم ان يقول اعمل وافعل لمن لا عمل له ولا فعل وقد ثبت
الامر الالهى بالعمل للعبد فلا بد ان يكون له فى المفعول عنه تعلق من حيث الفعل فيه يسمى به فاعلا و
عاملا واذا كان هذا فبهذا القدر من النسبة يقع التجلى فيه فبهذا الطريق خاصة كنت اثبته وهو
طريق مرضى فى غاية الوضوح يدل ان القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك
ورايت حجة المخالف واهية فى غاية من الضعف والاختلال فلما كان يوما فاوضنى فى هذه المسئلة
ولدنا اسمعيل المذكور فقال لى واى دليل اقوى على نسبة الفعل للعبد والتجلى فيه اذ كان من
صفته من كون الحق خلق الانسان على صورته فلو جرد عند الفعل لما صح ان يكون على

Copyright © King Saud University